مملكة المرأة والبيت

خواطر فى النسائيات

بقلم عبد الحميد العمروسى

للفتاة أطوار ثلاثة : الطفولة ، الغلومة ، البلوغ . ففى منتصف دور الغلومة تبتدى أفكارها تتحدد، ونظرتها إلى الحياة تستقر ؛ وعلى هذا رويداً رويداً حتى ينحصر تفكيرها فى نفسها قرب انتهاء هذا الدور، وبذا تنتقل من الحياة الهائجة المضطربة إلى الحياة الشخصية ، إلى الحياة التى تقاس بمقدار ما تجلبه للفتاة من نفع أو ضرر .

تخلو الفتاة إلى نفسها فتجد من الرغبات والآمال ما يملأ صدرها ، وتختل منها بؤرة الشعور ، وتطرد ما عداه من خواطر الدروس والامتحانات وما شاكلهما من الشواغل التى هى فى المرتبة الثانية بله الثالثة بالنسبة للمرتبة الأولى التى هى « الحاسة الجنسية » .

تفكر الفتاة فينتهى تفكيرها إلى أن تحقيق بغيتها على أيدى الرجل . إذاً يكون الرجل نفسه محل تفكيرها .

نعم وإن كان الباعث لها على التفكير وإشغال الذهن هو هذه الحاسة، لكنها مرغمة على التفكير فى نواح أخرى ترى أن سعادتها وقف على تحقق هذه النواحى فيمن يكون لها بعلا ؛ وهنا تتفاوت العقول ، وتتفاضل البنات ومعهن الأمهات ، فقد ينتهى التفكير إلى تطلب نواح قد لا تتحقق فى الفتى طالب الزواج ، فيرفضن من يتقدم لأنه ليس ذا خلقة جذابة ، ليس ذا ظرف وأناقة ، ليس ذا حسب ونسب ، ليس ذا كفاءة لتقديم شبكة ومهر عظيمين .

وإذا كانت هذه رغائب المدنية على تعلمها ، فليست كذلك القروية على جهلها ؛ فالقروية أقرب إلى الصواب فى الشروط التى تشترط تحقيقها فيمن تود أن يكون لها بعلا ، فتنظر فيه من الناحية الخلقية ، من الناحية المادية المعتدلة ، هى ترضى بمن يتقدم إليها ما دامت تراه صالحاً لأن يكون رجلا رب أسرة ، يستطيع القيام بأعباء الزوجية على قدر طاقته ، فلا ترهقه فى شبكة ولا فى مهر ؛ ولا تشترط مسكناً خاصاً ، ولا تحتم الانفراد عن الأبوين كأختها المدنية .

أجيبينى أيتها المدنية أيكما كان أجدر بالاعتدال فى الطلبات؟ .

خبرينى وربك أيكما كان أفهم بتقدير الحياة الزوجية، وجعلها فى مستوى أرفع من أن يقف فى سبيلها خلاف على الشبكة ، ونزاع حول المهر ؟ .

أظن أن قد آن الأوان لأن تدعى الأمور العرضية التي تشترطينها باجحاف فيمن يتقدم إليك راغباً في حياة روحية تسمو فوق كل اعتبار ، وبهذك عن الاشتطاط فيهذ ركن من أركان أزمة الزواج .

وإني لآخذ عليك أيتها المدنية ظاهرة أخرى شغلت تفكيرك ،ولا تقل خطراً عن تفكيرك في الشروط السالفة الذكر،هاته الظاهرة تفعليها على أنها نافعة مجدية ، ولو كنت تدركين سوء مغبتها ما أقدمت عليها . لذا لزم علينا دينياً وأدبيا تنبيهك إليها ، وتحذيرك من عاقبتها .

ترى الفتاة المدنية تميل إلى التعارف ، تميل إلى الاختلاط معلة النفس بالمنى ، لكن سوء تدبيرها خيب آمالها، إذ نراها تجنح إلى التعارف بقدر ـ مادامت تجد فيه بغيتها ـ فتعطيه من وقتها ورقتها ما يستهويه ، ثم هي لا تكتفي به، بل تجد وتبذل جهدها في الاتصال بثان وثالث ورابع . . . وهنا لا أنكر مهارتها في إيجاد صلة بينها وبين من تريد . . . وهذه خطة إن أجدت مرة فقد أعقبت مراراً ، والحوادث ناطقة شاهدة على سوء المصير .

ثم لكل فتى رغبات ، فقد يدعوها هذا إلى نزهة خلوية ولا مناص لها من تلبية الطلب ، فما الذي يضطرم في صدر الثاني إذا رآهما متخاصرين متأبطين ؟ .

قد يتصادف ويتصادق اثنان ،أو في مجلس يجتمعان،ويفضي كل منهما إلى صاحبه بمكنون سره ، فإذا محبوبة أحدهما محبوبة الآخر ؟ فما موقفهما معاً ، وما موقفهما إن قضت الظروف بأن ينازعهما في حبها اثنان آخران ؟ .

هي وإن كان غرضها من كثرة التعارف تزيياً ، لكنها لا تضمن أخلاق كل فتى تميل إليه بهذه السهولة ، فقد يكون بحيث لا يرعى للفضيلة حرمتها ، ولا يحفظ للنزاهة قدسيتها ، فيتظاهر بالصبابة ، وما هو بالوطان ، ويتصنع شدة الشوق ، وما هو بالمحب ؛ فتأسرها هذه المظاهر الكاذبة ، وتظنه صادقاً في توسلاته ، أميناً في تضرعاته ، فتسلس له القياد ، فتقع في المحظور ، ثم يتركها تجر أذيال الخيبة والفشل ، ولا أمر في الخلق من بنان الندم ، وكثيراً ما سمعنا بحوادث من هذا القبيل ، ذهبت ضحيتها فتيات ، لولا إهمالهن ما وقعن .

على أنه يجدر بكل فتاة ذاك شأنها أن تتق وتتأكد أن الفتى الذي تزين لارضائه ،وتتبختر لأسره ، وتلبي داعيه لابقاء ودهـ لو قيل له:أترضى بهذه زوجاً لك ؟ لأبى وشمخ بأنفه وأجاب مسرعاً : حاشاي أن أتخذ زوجاً من وزعت قلبها بيني وبين غيري في أهم أدوار حياتها .

إنه لحق في هذه الاجابة ، ومنصف في هذا الرفض، فهي في الوقت الذي أسلست له قيادها قد أسلسته لغيره فتعودت سهولة الانقياد ، ومرونة الطباع ، وبذا تكون قد فقدت أعز خواص المرأة من التحصن والاحتباس .

هذا وغير هذا يقول علماء النفس : إن الخاطر الذي يحتل بؤرة الشعور لا يزول كلية ، بل تختفي صورته ويبقى أثره ، فإذا ما اهتاج الأثر بأي سبب جاءت الصورة وحل الخاطر ، فهذه التي مالت للكثيرين ، وأخلصت لكل واحد على انفراد لن تنسى ما كان بينهم

وبينها من الشئون ؛ فهي لا تفتأ تتذكرهم ، وتحن إليهم حنيناً قد يفوق حنينها إلى زوجها .

نخرج من ذلك إلى أن مراقبة البنت فى هذا الطور من أزهم الأمور ، ولا تكون المراقبة بحبسها والتضييق عليها ، فهى كالوعاء ، لا يلبث أن ينفجر ؛ وإنما نضع الخطط الناجعة ، ونرسم الطرق النافعة ، ثم نجعلها تسلك هذه الطرق دون أن تشعر بأنها مجبرة على سلوكها ، فنحفظها من الاختلاط بقرينات السوء ، ولا ندعها فى البيت ، لا هم لها إلا المرآة والتجميل ، وإنما نشغلها ، فاشغالها يقطع عليها سلسلة التفكير فى نفسها ، وتحترم رأيها ، ولا نبدى لها احتقارنا ، بل نشعرها بأن لها شخصية كعضو فى الأسرة نافع ، ونحسن معاملتنا أمامها حتى لا تتأثر بسوء آرائنا .

وليس مثل هذا العلاج صالحاً لكل فتاة ، فما يصلح لواحدة قد لا يصلح لأخرى ، وإنما يجب أن يختلف علاجهن باختلاف أمزجتهن وطبائعهن وبيئاتهن ، كما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم ، ومن هنا تنشأ الصعوبة التى تلاقيها الأمهات الجاهلات فى تقويم فتياتهن . ؟

(عمروس) عبد الحميد العمروسى

حول الجنس الاسود

(بقية المنشور على الصفحة رقم ٣٧٢)

ويستهويه ، وإن دراسة عقول الشعوب المتوحشة والبائدة تحتاج إلى أمهر الباحثين وأحذقهم ، لأنها تتضمن عقد مشابهة ومقابلة بين مظاهر عقولنا ومظاهر عقولهم ، وتحتاج إلى قوة كبيرة من الخيال تنتقل بنا إلى عالمهم البصير ، لنرى بأعينهم ونسمع بآذانهم ، وقاسمهم الفكر والوجدان .» ، فهل يعقل فى شرعة الانصاف — والأمر كما ترى — أن يقتدر المرء على الوصول إلى أفئدة الناس وهو يتنأى ، فيحكم عليها — لأدنى ملاحظة لا تنهض بدليل — بركود القرائح وخسة الطباع ، ويزعم بملء شدقيه ؛ بأن قوة ذكاء الشيخ المحنك من السود لا تعدو قوة ذكاء الطفل عند الأمم البيضاء ؟ اللهم إنى :

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

ولذلك رأيت — وقد دبت إلى الشرق تلك النعرات الجلدية ، المتفشية فى العالم المقول عنه ، أرض الحرية والمساواة والدمقراطية والعدل — أن أنشر هذه الكلمة الموجزة ، راجيا أن ترفع عنيهبة مما علق بالأفكار ، ريثما يوفقنى المولى — الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى — لطبع كتابى الذى سأشرع فى تأليفه للبرهنة على فحوى هذا المقال بكلام : روحه العلم ، وشيمته النزاهة ، وغايته التثقيف ، ورائده الانصاف وهو حسبى ونعم الوكيل . ؟

محمد مسعود فشيكه